الفصل الرابع

obeikandl.com

obeikandl.com

الثقافة

عندما تصبح المكتبة ضرورة كالطاولة والسرير والكراسي والمطبخ، عندئذ يمكن أن نقول: إننا أصبحنا قومًا متحضرين.

ميخائيل نعيمة

من أسباب نجاحي

مضت ثمانية أعوام منذ زيارة أحمد الأولى لعمه في الغاط، وفي هذا اليوم وصل أحمد إلى مزرعة عمه بعد ظهر يوم حار من شهر أغسطس، وجده جالسًا في ظل نخلة وفي يده كتاب، كان أحمد يحثّ الخطى لمقابلة عمه، وقد ارتسمت على محياه علامات البشر والسعادة، قبّل رأس عمه، وجلس بجانبه وفي يده كيس ناوله عمه، ثم قال:

- أسعد الله مساءك أيها الحكيم، كم أنا سعيد بوجود شخص مثلك أثرى حياتي، وجعل لها معنى، كم من المتغيرات مرّت عليّ منذ تقابلنا في هذا المكان، كنت أعيش في متاهة بين الجهل وتدمير الذات، كنت أعتقد أن أفضل شيء في الحياة هو اللهو والسهر والكسل في انتظار اليوم الثاني لمزيد من المتع المؤقتة، كنت أمشي في الحياة معصوب العينين، تمرّ من أمامي الفرص، ولا أراها، عشت في بيئة كلها مستنقعات آسنة، مع وجود

بحيرات جميلة نظيفة على الجانب الآخر من الحياة، حجب رؤيتها غبار كثيف هو مزيج من مخلفات الماضي وإخفاقات الحاضر، كنت أستخدم نتاج الحضارة للهو فقط دون أن أعي كيف تم إنتاجها.

- مهلًا يا أحمد، يبدو أن في جعبتك أشياء كثيرة تريد أن تخبرني بها، هل أنجزت هدفك الذي كتبته، وأطلعتني عليه؟
- حققته يا عمي، بفضل الله ثم بفضل دعمك وتشجيعك ومؤازرتك حصلت على الشهادة الجامعية بتقدير ممتاز على الرغم من أنني كنت أعمل في الصباح، وأدرس في المساء، وليتك كنت معي لتسمع كلمات الثناء والتشجيع من الأساتذة ومن عميد الكلية ومن مدير الجامعة، خطئي الكبير أنني لم أوجه الدعوة لك لحضور المناسبة، بودّي لو رأيت أبي وهو يحتضنني ودموع الفرح تبلل وجهه المشرق.
- أشكرك يا أحمد، على شعورك وعلى إسعادي بهذه الأخبار المفرحة.
- هل تصدق يا عمي، أنهم عرضوا علي فرصة مواصلة دراستي العليا، وفي العمل وعدوني بترقية إلى مرتبة أعلى في أحد الفروع، لم أنسَ فضلك علي، فقد تردد اسمك بين جنبات الجامعة، حين طلبوا مني أن ألقي كلمة الخريجين، قلت لهم: في هذه الحياة لا شيء مستحيل «إذا وجدت الرغبة والإرادة فهناك أكثر من طريقة لتحقيق النجاح، كنت أعيش في ظلام

دامس حتى قيض الله لي قريبًا أنار لي الطريق» وقد صفق الجميع، حين نطقت باسمك، قلت لهم أيضًا: «أصعب درجات النجاح بداياتها، وأجمل ما في النجاح أن تشرك الآخرين معك».

- أبارك لك يا أحمد، وسبق أن قلت لك: «لا حدود للنجاح» وقد اشتقت لأعرف ما في هذا الكيس؟
- هدية بسيطة أقدمها لك علامة الحب والامتنان، أرجو أن تقبلها من ابنك الصغير، ومعها خطاب اجتهدت في كتابته لعلّي أردّ لك بعض الجميل.
- جميلك يا أحمد، وصلني منذ زيارتك الأولى، كنت أسعد بكل زيارة منك، كنت تشعرني بصدق ما أومن به، وما كنت أنادي به في كل محاضرة، كم أفرحتني وزدتني حماسًا لأقول لك كل ما أستطيع، سوف أجعل من قصة نجاحك مثالًا أضربه لكل من أحدثه عن النجاح، وقد أكتب كتابًا عن هذه التجربة الجميلة، سوف أحدثك عن بعض ما تعلمته من قراءاتي ودراستي خارج المملكة بعد أن نتناول الغداء.

إذا كان لقاؤك بي هو نقطة التحوّل في حياتك، فإن التحاقي بالشركة كان نقطة التحول في حياتي، كنت أسأل دائمًا: لماذا ينتج الآخرون ويبدعون، ونحن لا ننتج ولا نبدع؟ بدأت أتتبع أسباب نجاحهم، فوجدت أن سببه ثقافة مختلفة، ثقافة تخاطب العقل، وتحترم

الفكر الحر، وتعطي مساحة أكبر للإبداع، وتشجع على العمل الجماعي المفيد، وتزرع ميزة الصبر وحب العمل وروح الفريق منذ الصغر.

مرونـة التفكير وبحثي عن ثقافة مختلفة كانت من أهم أسـباب نجاحي في الحياة، أعزو لها بعد الله سبحانه وتعالى الكثير مما أصبت من خيرات. لم أتعلم ما تعلمته بين يوم وليلة، لكنها التجارب والقراءات والدراسات، والتفكير والمقارنة.

الثقافة هي المحرك الأسـاس لكثير مما نقوم به في حياتنا الخاصة أو العامـة، وللثقافة تعريفات كثيرة تقارب المئتي تعريف، لكنها بكل بساطة هي ما نؤمن به من قيم ومبادئ ومعتقدات، وما نتقنه من علوم وفنون، وما نطبقه من أنظمة، إنها المحرك للكثير مما نعمل، وننجز.

تعلمت ثقافة تختلف عما تعلمته في البيت والمدرسة والشارع، ثقافة عالمية هي مزيج من فهم أفضل للدين، وأخذ أحسن ما لدى الآخرين، واعتـدال ومرونة في التفكير، وتحليـل عقلاني لكثير مما في الحياة، وإيمان بأن العلم هو أفضل الطرق وأقصرها لحل الكثير من المصاعب.

ثقافـة جعلت فكـري متفتحًا لكل جديـد، قابلًا لـكل نقد بناء هـادف، ثقافة جعلتني أعيش في سـلام مع نفـسي ومع الآخر، وأردد دائمًا أن القارب يتسـع للجميع على الرغم من تعدد الآراء والمصالح، سـواء أكان مـا يجمعنا بيت صغـير، أو مكان عمل، أو مضمار سـباق أو غـداء على حبة قمـح أو وطن، أو عالم كبير حـدوده أطراف الكرة

الأرضيـة. ثقافـة تقول: إن التعـدد في الفكر والرأي نعمـة تزيدنا قوة وتثـري حياتنا، ثقافة تقـول: إن التعنصر أو الإقصاء على أي أسـاس سواء أكان قبليًّا أو مناطقيًّا أو مذهبيًّا ما هو إلا تشويه للدين وسماحته ومعول هدم لسفينة الوطن وللسلم العالمي بشكل عام.

- لكـن الاختـلاف يا عم، يـؤدي إلى الفرقـة، والفرقة تؤدي إلى الاحتراب، وهو ما نشهده بين المسلمين اليوم.
- الديـن حـذر مـن الفرقـة لضررهـا البالـغ، ولم يحـذر مـن الاختـلاف، بـل إن الاختـلاف من سـنن الكـون، ولكن من المتنطعـين من يحصرون الحقيقة فيما عندهم فقط، ويعدون كل مخالف عـدوًّا لهم، ولذلك يشـنون الحـروب والعداوات على المذاهـب الأخرى، ولو تتبعنا آيات القـرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ لوجدنا أن الاختلاف موجود منذ وجد الإنسان، وسـيظل إلى يوم القيامـة، ويدرك كل عاقـل أن هذا هو وقت التغيير والإصلاح، وهذا من أهم رسائل الدين، حين قال تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، ومن المتنطعين من يحتج بحديث النبي وهو: «**تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقـة كلهـا في النار إلا واحـدة**» وفي هذا الحديـث ضعف من جهـة ثبوته عـن النبي، ولو أقررنا بثبوته فـلا يُقرّ لأي أحد أن يجعل نفسه هو الفرقة الناجية.

تعلمـت ثقافة تقر بأن الاهتمام بالإنسـان تربيـة وتعليمًا وصحة هو أسهل الطرق للحاق بركب الدول المتقدمة، ثقافة زودتني بالكثير

من القيـم التي أعانتني على النجاح، ومن أهمها الاسـتقامة والصدق والأمانة والحب وتقديس العمل وإتقانه واحترام الوقت واستثماره.

ثقافـة تدفع لمزيد مـن الإنجاز والنجاح، وترسـخ مفهوم أنه لا حدود لقدراتنا وإنجازاتنا سـوى ما نضعه نحن من قيود. ثقافة تحفز على روح المغامرة، وتفتح عقولنا لسماع المزيد والجديد.

لـولا روح المغامـرة التي لدى الإنسـان لما خرج من كهفه شـبه عارٍ ليصنـع المعجزات، حب المغامرة هو الذي دفع الإنسـان ليصعد إلى الفضاء، ويكتشـف القارات الجديدة، ويحقـق الفتوحات الكثيرة في شتى مجالات الحياة.

في محـاضراتي أحـثّ كل طالـب مبتعـث أو سـائح في بـلاد الله الواسـعة أن يحاول التعرف إلى ثقافة البلد الذي يذهب إليه، ما مبادئه وقيمه؟ ما نظامه السـياسي والاجتماعي والاقتصادي، وكيف يستثمر أفـراده أوقاتهم، وكيف يؤدون أعمالهم؟ وكيـف يربون أبناءهم؟ وما نظام تعليمهم؟ وكيف التعامل بينهم؟

- كيف أعرف عاداتهم وتقاليدهم وكل جميل في ثقافتهم، وأنا لا أحتك بهم، ولا أعرف كيف أزورهم في بيوتهم؟
- كنـت أحـثّ الطلبة على السـكن لـدى الأسر بدلًا من السـكن وحدهـم أو بعضهم مع بعض، وخاصـة في مرحلة تعلم اللغة، حيث يتعلم الطالب الكثير من الانضباط وأهمية التوفير، واحترام

الوقـت وتعلم كلمات المجاملـة التي تدل على احترام المخاطب، مـع قضاء الإجـازات بعيـدًا عن المـدن الكبـيرة الصاخبة، وأن يشاركوا في الأنشـطة الثقافية والرياضية والاجتماعية والعلمية، خاصة تلك التي تقام في المعاهد والجامعات.

أحـثّ الطلبـة المبتعثـين، وطلبة الجامعـات على العمـل في أثناء الدراسـة سـاعات معينـة كل أسـبوع، والانخراط في برامـج التطوع وخدمـة المجتمع حتى إذا تخرجوا ينـشرون هذه القيم بين مواطنيهم، فلدى الدول المتقدمة ثقافة تختلف كثيرًا عما لدى الدول النامية. وهذا مـا أحاول أن أقوله في كل مناسـبة: خذوا أفضل مـا لديهم من ثقافة، ودعوا السيئ منها، فلكل مجتمع حسناته وسيئاته. ثقافة منتجة مبدعة أهم من شهادات متشابهة مكررة.

هل كل ما في ثقافتنا جميل؟

- أراك تسترسل في الحديث عن الثقافة كثيرًا هذا اليوم.

- نجاحك يا أحمد، يغريني بالتحدث إليك عن المزيد من أدوات النجاح، عليك أن تكون ناقدًا لما تراه في مجتمعك ومؤثرًا فيه، فالإنسان يعيش خليطًا من العادات الحسنة والسيئة، ويمارس أفعالًا مفيدة ومضرة، سواء في العالم المتقدم أو النامي، لكن الفرق هو أنه في العالم المتقدم كل شيء قابل للنقد والتصحيح، أما في العالم النامي فكثير من العادات تأخذ منزلة القداسة، أو توظف للمصالح الخاصة، وهذا يصعّب من مهمة تغييرها، فنحن على سبيل المثال لا نربي أبناءنا كما يجب، ولا نعلمهم في المدارس كما هو مطلوب، ولا يحترم بعضنا بعضًا كما أمرنا الدين، ناهيك عن احترام الآخر، نمنّ على بعضنا بالابتسام، ولا نعطي ذوي الإعاقة ما يستحقونه من خدمة وعناية، وما للمرأة من حقوق، نفرِّق بين الناس على أساس اللون والعرق والمذهب، نعبث بالبيئة، ولا نحترمها، ولا نقيم وزنًا للحدائق، بل نصادرها، ونحيلها إلى مساكن ومتاجر، ونحيل الأودية إلى مخططات، ونداوم على الوجبات السريعة والمشروبات الغازية، ولا نمارس الرياضة، ولا نعرف قيمة التوفير والادخار في حياتنا، نردد أمثلة قالها من قبلنا لأغراض السجع فقط، فصدقناه، كقولنا: «اصرف ما في الجيب يأتِك ما في الغيب»، ولو تدبرناه جيدًا لوجدناه

مضلّلًا وغير صحيح، والأولى أن يقال: «استثمر ما في الجيب يأتِك ما في الغيب». وقد تكون هذه الأمثال وضعت لزمن انتهى، فالإشكالية حين نقرأ الأمثال بصفتها متعالية على التاريخ الذي قُرئت به في تلك الحقبة، لذا فمن واجبنا أن نخضع الأمثال لنهج تاريخي يعيدها إلى ظرفها الذي توقفت عنده، ويخضع بعضها الآخر لقراءة أخرى تفككها، وتجعلها أكثر حداثة.

- أراك يا عم، تقسو كثيرًا على ثقافتنا، وتثني كثيرًا على ثقافتهم.
- الحكم بيننا يا أحمد، النتائج، هم ينتجون ونحن نستهلك، ويبيعوننا نتاج عقولهم، فنقايضها بنتاج حقولنا من ثروة ناضبة.
- أحيانًا يصيبني اليأس، حين أرى مقدار تخلفنا في كثير من الأمور يا عم.
- صدقت يصيبني هذا الشعور أحيانًا، لكنني أتذكر المثل الذي يقول: «الشيء الوحيد في العالم الذي تستطيع تغييره هو أنت»، وحين تتغير للأحسن تصنع عالمًا أفضل، يجب ألا يكون لليأس مكان في حياتنا، المستقبل يصنعه المتفائلون الذين يرون أنوارًا بعيدة لا يراها المتشائمون.
- أريد أن أسألك يا عم: هل أنت راضٍ عن كل ما يجري في حياتك، وما أنجزته خلال عمرك المديد؟

- لا، لست راضِيًا تمام الرضا، لكني أحمد الله على ما قمت به من تغييرات كثيرة أثرت حياتي، وجعلت لها معنى، كان من الممكن أن أصيب نجاحًا أكثر، تذكر أنه مهما بلغ الإنسان من النجاح فإن لديه مجالًا أرحب للتغيير، لكن التغيير لا يتم إلا بوعي وإرادة قوية تنبع من الداخل لتضيء لك طريق التغيير نحو الأحسن، ومن أهم شروطها ألا ترضى بما هو كائن، وأن تجتهد لتغييره للأحسن، خذ على سبيل المثال: التعامل مع المرأة يختلف بحسب ثقافة المجتمع، المجتمعات الجاهلة تضعها في مرتبة أقل من الرجل، متناسين أنها الأم والأخت والزوجة ومربية الأجيال وقدوتهم، وتشكل نصف المجتمع، إذا أضعفناها أضعفنا كل الأمة، وإذا حقرناها حقرنا الجميع، فالمرأة الضعيفة عالة على نفسها وعلى زوجها، وتربي أطفالًا ضعفاء غير منضبطين، يفتقدون التربية السليمة القوية.

علينا أن نركز على العادات والقيم التي تحثّ على البناء والتعاون ونبذ الفرقة والتناحر، أعظم استثمار يمكن أن تقوم به للمستقبل يبدأ بالأسرة أولًا.

- ولكن ألا ترى يا عمي، أنك تقسو قليلًا على ثقافتنا وما بها من ممارسات جميلة؟

- النقد يا أحمد، يختلف عن جلد الذات، ويختلف عن الشماتة، فالمريض الذي لا يعترف بمرضه من الصعوبة أن يتقبل

العلاج، وأهم خطوات العلاج هي في تحديد نوع المرض ومسبباته، ودون ذلك لن يكتب لكل محاولاتنا النجاح، العالم العربي والإسلامي لم يتقدم كبقية الأمم لأنه لم يتوصل لأسباب المرض بعد، وسيظل في صراع مع نفسه ومع الآخر حتى يشخص المرض بكل أمانة ودقة، بعدها يسهل العلاج، وهنا أحيلك يا أحمد، إلى كتاب جميل هو (العرب من وجهة نظر يابانية) للمستشرق الياباني نوبوأكي نوتوهارا.

- لنجدد النشاط يا أحمد، دعنا نذهب إلى البيت، ونتناول الغداء، بعده نكمل الحديث، فقد شوقتني لمزيد من الحوار.

obeikandl.com

غيّر عاداتك تتغير حياتك

تبدأ العادة كخيط رفيع لا يرى، ومع تكرر الفعل يزداد الخيط قوة، ومتانة حتى يصبح حبلا قويًا لا نستطيع الفكاك منه.

أوريسون سويت ماردن

العادة يا أحمد، تحفر مسارها، وتتخذ مكانها في تلافيف المخ، يؤديها الإنسان دون تفكير أو تمحيص، وقد قرأت منذ مدة طويلة وصفًا للعادة الضارة، إذ شبهها الكاتب بالظفر المصاب يبقى في مكانه حتى ينبت ظفر سليم يدفعه، ويحل محله، فإذا أردت أن تتخلص من عادة ضارة أو مثبطة فالأسهل هو أن تكسب عادة تحل محلها، فعلى سبيل المثال يضيع الكثير من الوقت سدى كالجلوس أمام التلفاز أو تصفح الإنترنت، أو الجلوس في المقهى أو الاستراحة مع الزملاء، ومن الصعوبة أن تقاوم متعة الذهاب إلى تلك الأماكن والالتقاء بزملائك القدامى إلا بعد جهد ومقاومة وإيجاد بدائل مفيدة وممتعة، وقد مررت بمثل تلك التجارب، خصوصًا في إجازات نهاية الأسبوع.

عليك أن تستبدل عادة بعادة، فتستبدل بعادة التسويف وبسماع الأحاديث المكررة عادة القراءة والرياضة والبحث عن المفيد في الشبكة العنكبوتية، قلل من ارتياد المقاهي والذهاب إلى المناسبات غير المفيدة، واستبدل بها قضاء وقت أكثر مع الأسرة. استبدل بضياع

الوقت استثماره، وبحديث الناس المكرر أفكار العباقرة، وسير الناجحين التي أودعوها سيرهم الذاتية.

هل تدري يا أحمد، أن علماء النفس يقولون: إن تسعين في المئة من سلوكنا ينشأ بحكم العادة، من أراد أن يغير سلوكه فعليه أن يراجع عاداته، ويبدأ بتغييرها إلى عادات جديدة حسنة.

- لكن ما الذي يجعل الناس تتمسك بعادات تستهلك الصحة والمال وضد النجاح؟
- الجهل يا أحمد، ثم إن البرمجة منذ الصغر تحيل العادات الذميمة إلى عادات مقبولة غير قابلة للنقد، والكثير من العادات تعطي متعًا مؤقتة، ولا تظهر نتائجها المدمرة إلا بعد وقت طويل من ممارستها، العادات المضرة ندفع ثمنها غاليًا ولو بعد حين.

أريدك يا أحمد، أن تقرأ بصوت مرتفع هذه العبارة من كتاب (أيقظ قواك الخفية) لأنتوني روبنز.

تناول أحمد الكتاب، وبدأ يقرأ العبارة الآتية: «ليس هناك ما يعجز التمرين عن أدائه، ليس هناك ما لا يستطيع تجاوزه، إنه يستطيع أن يحول الأخلاق السيئة إلى حسنة، ويمكنه أن ينسف المبادئ السيئة، ويخلق مبادئ حسنة، إنه يستطيع أن يرفع مستوى البشر، بحيث يصلون إلى أعلى مستوى يمكن للإنسان أن يصل إليه».

هذا الكلام صحيح ومثال على ذلك ما نراه في السيرك من حركات لا تصدق في براعتها وخطورتها، وما نرى من تدريب

عجيب للحيوانات المشاركة، وما نراه من حركات تقوم بها الدلافين مع السباحين، والسبب هو التكرار والمكافأة بعد كل إنجاز؛ لذا لا تيأس، ولا تعدْ أدراجك حين تسقط من أول محاولة، بل تأمل أسباب السقوط ثم واصل، كافئ نفسك على كل بداية ناجحة، وأجزل الثناء على نفسك بعد كل عمل وكل محاولة سواء أنجحت أم لم تنجح إلى أن تحفر العادة الجديدة مسارها في الخلايا العصبية من المخ، ثم تصبح جزءًا من السلوك. أكثر الذين يعودون لعاداتهم القديمة إما أنهم استعجلوا النتائج، أو أنهم لم يبحثوا عن بدائل بحثًا جادًّا، أو أنهم غير مقتنعين بما تسببه لهم عاداتهم القديمة من أضرار، وما تجلبه العادات الجيدة من مكاسب.

أراك تغيرت يا أحمد، في أمور كثيرة أجد فرقًا كبيرًا بين وضعك في زيارتك الأولى ووضعك في هذه الزيارة، وحين يتغير شخص واحد يتغير في العالم أمور كثيرة، سيمتد تأثيرك الإيجابي للأسرة والعمل والمجتمع. حين نكون أفضل يصبح العالم أفضل، ويمكن أن نكون قدوة لغيرنا من شعوب العالم خلقًا وإنتاجًا ومساعدة لغيرنا من الشعوب، يمكن أن نجعل بلادنا من أفضل بلاد العالم، يمكن أن تسكن بيوتَنا المحبةُ والسكينةُ، لو استثمرنا هذا الوقت الثمين بما هو مفيد من عمل وبناء، ولو نشرنا مبادئ المحبة والتعاون والابتسام في وجوه الآخرين بدل الكره والغضب والعبوس، لو علمنا أطفالنا كيف يقولون: «شكرًا» لكل من يسدي لهم عملًا، وكلمة «لو

سـمحت» لكل من يطلبون منه شيئًا لتحسـنت علاقتهم مع غيرهم، كلـمات بسـيطة، لكنهـا مؤثرة تقرّب بـين الناس، وتنـشر المحبة. هذا الجفاء الذي نعيشـه ليس بسبب الأحوال الجوية ولا بسبب الجينات، ولكنها الثقافة والتربية والعادات التي نكتسبها في حياتنا.

يقـول أحـد المقلعين عـن التدخين: كنـت أعتقد أننـي لن أتخلى عـن السـيجارة إلى آخر العمر لظني أنها مصـدر المتعة في حياتي، حتى دخلـتْ عليّ ابنتي الصغيرة ذات يوم وقالـت: أبي، لا أريدك أن تقتل نفسك، قلت لها: لن أقتل نفسي، لكنها أشارت إلى السيجارة المشتعلة، وقالت: هذه ستقتلك، ولا أريدك أن تموت، أريدك أن تحضر زواجي بعـد عشرين عامًا، عندها تركت السـيجارة في الحال، ولم أعد لها بعد ذلك اليوم.

الله سـبحانه أعطانـا العقـل لنسـتخدمه، وطلـب منـا أن نأخذ بالأسـباب، ونتوخـى الحـذر، وإلا مـا فائـدة تعليمات السـلامة التي كانت سـببًا في حماية ملايـين الأرواح في البر والبحـر والجوّ، نحن في حاجة إلى ثقافة مختلفة. نقد الكثير من أفكارنا هو الخطوة الأولى للبدء في التغيير الحقيقي والدائم في حياتنا.

سـأتركك تنام الليلة باكرًا، فغدًا سوف يكون لنا برنامج مختلف وطريق نسلكه لأول مرة، ثم نستكمل الحديث عن النجاح وأسبابه.

ابحث عن السبب

أيقظ العم أحمد، وجهزا لوازم الرحلة، صليا الفجر، وشربا الكثير من الماء، تناول العم تفاحة، وأعطى ثانية لأحمد، أحضر العم دراجتين هوائيتين، وأخبر أحمد بأنهما سيتجهان إلى المتنزه الوطني الذي بدأ بجهود ذاتية حتى أصبح معلمًا جميلًا من معالم الغاط ورئة يتنفسها الأهالي ومصدر رزق يفد إليه السائحون من كل مكان.

- هل يعقل أن نصل إلى هناك مستخدمين الدراجة الهوائية؟ لماذا لا نختصر الوقت والجهد، ونستخدم السيارة؟
- ركوب الدراجة جزء من المتعة، الدراجة الهوائية صديقة البيئة، ومن أفضل الرياضات التي تهتم بها شعوب الدول المتقدمة، قد لا تستسيغ الفكرة في البداية، لكنني على يقين أنها ستعجبك فيما بعد.

سارا إلى المتنزه بهمة ونشاط، التفت العم إلى أحمد، وقال له: ألا ترى الفرق الكبير بين هذا الوادي الذي تمت حمايته من الرعي والاحتطاب وبين الأودية الأخرى التي أهملت، وعرّيت من أهم مصادر جمالها؟

- بلى، يا عم، أجد فرقًا كبيرًا، ما أراه أمام عيني شيء لا يصدق، انظر إلى أشجاره الملتفة وإلى روائح الزهر تحتفي بنا، يكفي أن نستظل تحت هذه الشجرة والطيور فوقنا تغني بحبور، أشكرك

يا عم، على هذه الرحلة الجميلة، في المرة القادمة سوف أقضي فيها يومًا كاملًا مع أسرتي، لكن حدثني كيف أبقيتم عليها نظيفة، وكيف سلمت من عبث أعداء البيئة والجاهلين بأهمية الشجرة؟

- لقد أشركنا المجتمع المدني، وأشركنا طلبة المدارس في زراعة الشجرة والمساهمة في تنظيف المكان، أشعرناهم بأن المتنزه لهم، وأن الشجرة صديقتهم ضد التلوث والتصحر والجفاف، لقد كان جهدًا مشتركًا بين الجهات الحكومية والمتطوعين من أبناء البلدة، الأيدي الطيبة تسارع للمشاركة في البناء.
- أتمنى يا عم، لو تتاح الفرصة لكل محافظ مدينة وكل رئيس مركز وكل مسؤول في الزراعة والبلدية أن يزور هذا المكان ليستفيد من تجربتكم الناجحة.
- شكرًا لك يا أحمد، والأمل في الله ثم فيكم لتكملوا المسيرة، اليوم يا أحمد، سأحدثك عن مشكلة حدثت لأستاذ ناجح، حينما كان يَدرُسُ في المرحلة الثانوية، يقول ذلك الأستاذ المتميز: مررت بفترة مراهقة صعبة كادت تأخذني إلى مهاوي الردى، وأهملت الدراسة، وتدنى عطائي في أكثر المواد، صرت أكثر من الخروج من البيت وطلب المال بشكل متكرر، وكنت ألحّ على والديَّ، وعلى أمي بشكل خاص لشراء سيارة جديدة بمواصفات معينة، على الرغم من علمي بعدم قدرتهم المادية على ذلك.

وقد كان لوالدي صديق حكيم نصحه بما يأتي: حل أي مشكلة يبدأ من داخلها، لا بد من جمع المعلومات عن المشكلة، أسئلة مهمة تبدأ بأين ومتى وكيف ولماذا؟ ثم القيام بتحليل المعلومات ومحاولة معرفة الأسباب الحقيقية للمشكلة، بعدها توضع خطة لعلاجها. وللحصول على المعلومات الكافية لا بد من الاستعانة بكل من له علاقة بصاحب المشكلة، والبيئة المحيطة، كالبيت والأصدقاء والمدرسة.

- هذه مشكلة صعبة يا عم، الأبناء أغلى ما نملك، وكل ما يصيبهم يصيبنا.
- صدقت، ولكل مشكلة حل، لكن غياب التفكير العلمي وعدم وضع مختلف الاحتمالات يقلل من فرص نجاح حلها، ويجعلنا نعزوا المشكلة إلى سبب واحد نأخذه، ونسلم بصحته، كقولنا: إن السبب فترة المراهقة، أو إنها عين أصابته، نكتفي باستنتاجات لا تستند إلى دراسة متأنية، ونحاول حل المشكلة بناء على هذه الاستنتاجات، أو أن نستسلم، ونتركها للزمن ظانّين أنه كفيل بحلها، من أهم الأسئلة التي يجب أن نبحث عن إجابة لها هي: متى بدأت التغييرات؟، وما الظروف المحيطة بها؟ وما رأي المختص؟

دعني أَعُدْ إلى ذلك الأستاذ ليكمل قصته، يقول: بعد تحليل الكثير من المعلومات، وزيارة والدي للمدرسة، وجد أن أحد زملائي أثّر فيّ كثيرًا، وكدت بسببه أترك المدرسة التي اختارها لي والدي بكل

عنايـة إلى مدرسـة أخـرى، كان ذلـك الصديـق يملي عـليّ الكثير من الأفكار والتصرفات التي لم تكن موجودة عندي قبل التعرف إليه.

- لمـاذا يثق الابن أو البنت في هذه السـن بأصدقائه أكثر من ثقته بوالديه ومعلميه؟
- السـبب يا أحمـد، هو تلـك الأسـوار الوهمية التـي تبعدنا عن أبنائنـا، وتبعـد المعلـم عن طلبته؛ لـذا يلجـؤون إلى زملائهم، فيجـدون الصدر الرحـب والوقت الممتع، ومعـه يبدأ التأثير، وكل قرين بالمقارن يقتدِي.
- يقـول الأسـتاذ: أول الحلـول وأبسـطها التـي اتخذهـا والدي وبمسـاعدة صديقـه هـو القـرب منـي وتحفيـزي، التحفيـز والتشـجيع جعلنـي أزداد قربًـا من والـدي، لقـد كان أفضل سـلاح فعـال للتعامل مع حالتـي تلك، كان والـدي ووالدتي يمتدحـاني عـلى كل عمـل أقـوم به. أحـضرت لهـم ذات مرة نتائج إحدى المواد، وكانت عشر علامات من عشرين علامة، كنت خائفًا متوجسًـا من ثورة أبي، لكنه فاجأني بقوله: في هذه الورقـة عـشر إجابـات صحيحـة، قلت عـلى اسـتحياء: لكن هنـاك عـشر إجابـات خاطئة، قـال لي: أنا لا أرى سـوى تلك الإجابـات الصحيحـة، شـجعاني وحاولا إبعـادي عن زميلي وصديقـي الذي كنت أظنه وفيًّا، والـذي كان حجرعثرة أمام تقدمي ونجاحي، وكان من أهم أسـباب التغيير السلبي الذي طرأ على سـلوكي، قـال لي والدي: يجب أن تكـون ذا رأي في

اتخاذ القرارات وإعادة بلورتها، ومن ثم صقل معرفتك لتكون مبـادلًا للتأثير، وفي أحيان كثـيرة عليك أن تأخذ زمام القيادة، وعليك أن تتعلم كيف تقول: (لا) بكل ثقة، النجاح والفشـل طريقـان متقاربان متشـابهان، فعليك أن تختـار الطريق المؤدي إلى النجـاح، ولـن تجد أصـدق ولا أحرص مـن والديك على مصلحتك فاستمع لهما جيدًا.

بـدأ الوالـدان ينتهجـان أسـلوبًا جديـدًا في تعاملهـما معـي فيه الكثير من التشـجيع والمؤازرة والمتابعة، بدأ العام الجديد وفيه صرت شـخصًا مختلفًـا تمامًا، في سـلوكي وإنتاجي، بدأ التغيـير الجذري منذ لحظـة تركي لصديقي القديم، لم أعد لسـابق عهـدي فقط، بل تعديته بمراحل، اسـتثمرت وقت فراغي بكل همة ونشاط، تحسنت علاقتي مـع الجميع، وسَرَتْ فيّ روح حب العمـل والنجاح وحب الآخرين، بدأت برسـم الهدف لما بعد المرحلة الثانوية، وهو أن أصبح أسـتاذًا في الجامعـة التي أحببتهـا، وضعت الخطط وبـدأت في تطبيقها، تذوقت طعـم النجـاح ومن يتذوقه فلن يـرضى عنه بديلًا، لقد اسـتفدت من هـذه التجربـة، وحققـت هـدفي، وصرت أسـاعد الكثير مـن الطلبة المتعثرين، وأحذرهم من أصدقاء السوء.

- لكـن علينـا ألا نسـتبعد السـحر والعين يـا عم، من دراسـتنا للمشكلة؟
- العـين والسـحر يظهـران حـين يغيـب البحـث العلمـي الجاد؛ لـذا تجدهمـا بكثـرة في البيئـة الجاهلة التـي يكثر فيهـا الدجالون

والمنتفعـون والمتاجرون بصحـة الناس، كنت أسـتمع بالأمس في الإذاعـة إلى مأسـاة امرأة تتحـدث في أحد البرامـج الاجتماعية إلى المذيعة، وتخبرها كيف فقدت ابنتها الصغيرة في حادث مأسـاوي، حينـما تعرضـت لتيار كهربائي نتيجة أحد الأسـلاك المكشـوفة في المنزل، وعزت الأم السـبب إلى زيـارة جارتهم التي لم ترزق ببنات على الرغم من حبها الشديد للبنات وتحسرها دائمًا على ذلك، وأنه حال خروج تلك السـيدة توفيت تلك الطفلة نتيجة ذلك الحادث المأسـاوي، وتوالت الردود من المسـتمعين وكلهـم يؤيد ما ذهبت إليـه تلك المـرأة، ومنهم المذيعة التي تعاطفـت معها، ولم يقل أحد منهـم: إن السـبب الرئيـس هو إهمال وسـائل السـلامة، وكما هو في قانـون مـرفي: «إذا كان هنـاك مجال للخطأ فسـيحدث لا محالة» وسـؤالي هـو: كيـف سـنعرف الأسـباب الحقيقيـة لما يحـدث لنا؟ وكيف نتفاداها في المرات القادمة إذا كنا سـنعزو كل ما يصيبنا من مآسٍ لقوى خارج إرادتنا، ونعفي أنفسنا من تحمل المسؤولية ومن تصحيح الخطأ؟ إثارة الأسئلة وتحليل الموقف والبحث عن حلول غير تقليدية قد تفتح لنا أبوابًا كثيرة، التفكير خارج المألوف يجعلنا متميزين، وهنا تكمن قدرة الإنسان على التغلب على الصعاب.

سـتكون القيم وأهميتها لتقدم الأمم آخر ما نتحدث عنه في هذا اليوم، وقبل أن نعود أدراجنا إلى السفح.

القيم طوق النجاة

لقد نحتت القيم على النصب التذكارية، وورد ذكرها في المخطوطات التاريخية المزخرفة، فلسنا في حاجة إلى المزيد من ذلك، ولكن من الواجب علينا تطبيق هذه القيم في حياتنا ومن خلال تصرفاتنا.

جون دبليو جاردنر

كل إنسان في هذه الحياة لديه قيم يؤمن بها، ويسعى جاهدًا لنشرها والدفاع عنها، من الناس من يؤمن بالاستقامة والتسامح والاحترام ومحاربة الكذب، ومنهم من يرى أن كسب المال هو أهم شيء في الحياة، فيسعى لكسبه بشتى الطرق، حتى ولو كان على حساب أمانته وأسرته وصحته، ليكن لديك يا أحمد، قيم تنير طريقك في الحياة، وتحميك من الزلل ومن الوقوع في المحرمات.

لقد جاء اسم القيم من القيمة، وهي تقدير قيمة الشيء، وما أعنيه بالقيم هي تلك المعتقدات والاتجاهات والميول التي يمارسها الإنسان، ويؤمن بصحتها، ويسعى لتحقيقها في حياته، كالاستقامة والحب والتسامح والحرية والاحترام، بحيث يتمسك بها، وتصبح بوصلة تحدد مسار المرء واهتماماته.

- أليست القيم ثابتة، وتتوارثها الأجيال منذ القدم؟

- القيم معروفة منذ القدم، لكن الاختلاف في تطبيقها من شعب لآخر ومن شخص لآخر، من عاش بقيم سامية نجا، ومن عاش بلا قيم تحميه وتدفعه للأمام وقع في الكثير من الأخطاء، وتخلف عن ركب الناجحين، وكل القادة الذين أسهموا في تحرير شعوبهم، أو أقاموا الصروح الكبيرة في بلادهم لديهم قيم تدفعهم لذلك، فالمعلم الذي يمضي معظم وقته مع طلبته، ويبذل الغالي والرخيص في سبيل تعليمهم، وفي سبيل زرع العادات التي تجعلهم مواطنين صالحين لم يكن دافعه المال، بل يؤمن بقيمة ما يقوم به، ويجد لذة في أدائه، والمصلح الذي يتعرض لأذى السجن أو النفي أو الفصل من الوظيفة يؤمن بما يقوم به، ولذا يستهين بكل ما يعترض سبيله، وعلى النقيض من ذلك من يفتقر إلى القيم السامية، نجد أنه يتخبط كثيرًا في حياته؛ لأنه يعيش في فراغ روحي قد يلجئه إلى إدمان المخدرات أو الإسراف في الأكل والشرب، وقد يسيء معاملة من حوله.

- وما القيم التي تهتم بها يا عم؟

- إنها كثيرة، لكنني أضع الاستقامة في سلّم الأولويات، والسبب أن من يفقد الاستقامة يفقد ما عداها، بل يصبح عائلًا على أهله ووطنه، والقيمة الثانية هي الحب، فهو مصدر سعادتي وجواز دخولي إلى قلوب الآخرين، أما القيمة الثالثة فهي الاحترام،

وأعني بها احترام الجميع، سواء كانوا من الأقارب أو الزملاء وكل من تتعامل معهم في حياتك اليومية، سواء في المنزل أوالمدرسة أو العمل أو الشارع، ولا ننسى احترامنا للمختلف مهما اختلفنا معه واحترامنا للبيئة وما بها من طير وحيوان وشجر.

والقيمة الرابعة الإخلاص في العمل الذي يجب أن نؤديه بكل أمانة وإتقان مع ما يتطلبه من قراءة وتحضير جيد، أما القيمة الخامسة فهي التسامح الذي يفتقده أكثرنا، ويُعدّ من أهم أسس بناء المجتمعات وتماسكها.

والقيمة السادسة هي الاستثمار الأمثل للوقت والمال حتى يكونا عونًا لي على تحقيق التوسع مستقبلًا في مشروعات الخير وإشاعة الرخاء.

ولا ننسى قيمة الصبر سلاح الناجحين، هذه القيمة أحاول تعليمها لأبنائي وبناتي، فهي ضرورية لمن أراد النجاح.

القيم ضرورية لكل سكان المعمورة ليعيشوا جميعًا بحب وسلام بعيدًا عن الحروب والمجاعات، قدرنا أن نعيش جميعًا على كوكب واحد على الرغم من اختلاف لغاتنا وثقافتنا، ولن يشفع لنا سوى الحب والتسامح والقبول على الرغم من الاختلاف.

- ألا يكفي أن نؤدي واجباتنا الدينية لتشمل كل القيم المطلوبة؟
- المشكلة يا أحمد، أننا أفرغنا الدين من كثير من قيمه الإنسانية، وجعلناه طقوسًا وعبادات خالية من التأمل والتفكير في

الإنسان بوصفه كائنًا حيًّا له حقوق وواجبات، وكيف يكون سلوكه في البيت وفي العمل والشارع.

- وكيف نزرع القيم ونحن نعيش في مجتمع لا يطبق الكثير منها؟
- الأسرة هي أهم من يزرع القيم، ثم المدرسة التي يجب أن تكون بيئة مناسبة لتعلم القيم الجميلة وتطبيقها أفعالًا لا نصوصًا في المناهج فقط، ولا بد من إسهام الإعلام لنشر القيم السامية بأكثر من وسيلة.

وعلى المرء أن يستمر في تعلم قيم جديدة مدى الحياة، وأن يعلمها لأبنائه، فالقيم السامية هي طوق النجاة في الحياة الأسرية وفي عالم الأعمال، وهي التي تراقب الإنسان ذاتيًّا، حين لا توجد مراقبة خارجية، حاول أن تفتش عن القيم التي ترتفع بك عاليًا، وتجعلك إنسانًا متميزًا ومؤثرًا في مجتمعك، واعمل بها، فالناس لا تصدق إلا من تكون أفعاله كأقواله، هذه القيم ستكون عونًا لك على المزيد من النجاح، وستردعك عن الزلل وارتكاب المخالفات.

- ما تنادي به يا عمي، صعب أو شبه مستحيل في هذه المجتمعات.
- تعرف المثل القائل: «السمك الحي هو الذي يسبح ضد التيار، أما الميت فيطفو، ويجرفه التيار» عادات المجتمع وقيمه تيار جارف من الصعوبة مقاومته، لكن القلة هم الذين يسبحون ضد التيار، وقد يغيرون اتجاهه.

سـأتركك تذهـب إلى الرياض، ولعلك تفكـر في الكثير مما قلته لـك وأنت في الطريـق إلى هناك، وعليك أن تكثر من طرح الأسـئلة، فهي أهم من تلقي الأجوبة الجاهزة.

obeikandl.com

الأسئلة قوة

مـن يَخْشَى السـؤال يخجـلْ مـن التعلم.

حكمة عالمية

- عـاد أحمـد بعد أسـبوعين وفي هذه المرة أحضر معه طفليه حسـين وهيا، سلّم على عمه، وقال له: أتيت بأغلى ما أملك في هذه الحياة؛ ليتعرفا إلى من له الفضل في تغيير مجرى حياتي، لقد حدثتهما عنك كثيرًا، قلـت لهما: سـآخذكما إلى مـن أمدني بأفـكار مختلفـة، وقد أمطراني بالأسئلة الكثيرة عنك وعن الغاط بشكل عام.
- دعهما يسـألان كما يحلو لهما، فالأسـئلة هي الخطـوة الأولى نحو المعرفـة، بل هي التي تمهـد الطريق نحو فهم وتمحيص ما يقال، ولولا الأسـئلة لما كانت الأجوبة، وفي ثقافة الدول المتقدمة تُعدّ الأسئلة علامة قوة وثقة بالنفس يشجعون عليها، ويحثون الطلبة على طرحها ومناقشـتها. وأسوأ طرق التعليم هي التي تخلو من الأسئلة، وتكتفي بإعطاء الطالب إجابات مقولبة جاهزة، وأقل المعلمين فائدة هو من يضيق بالأسئلة، ويعدها مضيعة للوقت، تعليمنا متخم بالمعلومات التي تشـكل معظم مواده، مع أن بناء القـدرات والتفكير الإيجـابي هو ما يصنع الفـرق، لكنه التعليم التقليدي الذي يقتل روح التسـاؤل والشـك العلمي والتفكير المنطقي؛ لأنه ينسب كل الظواهر الغامضة إلى قوى غيبية، وهذا

يضع حواجز عميقة أمام البحث عن تفسيرات علمية وفضول خلّاق لسبر أغوار هذه الظواهر.

الشك واجب إلا في المسائل الإيمانية الخارجة عن نطاق القدرة البشرية؛ لأن الشك في وجود الله مثلًا قد يوصل إلى العدمية والعبثية وانفلات القيم واضطرابات نفسية وعقلية.

حين يغيب السؤال الباحث عن الحقيقة لا يكون هناك مجال للتمحيص والتحليل والشك والبحث الذي هو أساس فهم العلم. يعجبني ما قاله الفيلسوف الأمريكي فولتن: «ابحث عن الحقيقة حتى تجدها، فإذا وجدتها ابحث عنها كأنك لم تجدها».

- لدي يا عم، أسئلة كثيرة ولدى حسين وهيا الكثير منها، لكن أخشى المقاطعة وضياع الفائدة.
- أحسنت يا أحمد، ولو تركتني لتحدثت كل الوقت، وفوّتُ الفرصة عليك وعلى ابنيك، وهذا خطأ شائع يرتكبه الكثير من المعلمين والمربين والوالدين. يردد الناس مثلًا يقول: «البدوي يمشي، وينشد» والمعنى هو أن البدوي يسأل كل من يصادفه، يسأل حتى وإن كان يعرف الجواب، فقد علمته الصحراء أهمية السؤال.
- هل يرد في ذهنك يا عم، الكثير من الأسئلة في أثناء القراءة؟
- نعم، فليس كل ما يكتب صحيحًا، فالكاتب إنسان يصيب ويخطئ، وبعضهم قد يؤمن بشيء، ويرغب في نشره، أما أنا

فأسأل وأحلل وأحاول معرفة الشيء الصحيح، الأسئلة من أقوى وسائل التغيير؛ لأنها تستحث العقل على التفكير، ومتى ما فكر العقل فلا خوف على الإنسان من الزلل، فأكثر المصائب يجلبها الإنسان لنفسه، حين يصدق كل ما يسمع، فيتبع الهوى، ويحيّد العقل، وينقاد بسهولة لمن يلبسه خطام الجهل، ثم يقوده حيث يشاء.

- وكيف نتخلص من كثرة المعلومات المغلوطة التي يتداولها الناس في مجالسهم؟

- شكرًا على هذا السؤال المهم، وسوف أحاول أن أجيب قدر المستطاع، ففي كثير من المجالس يتحدث البعض عن معلومات مغلوطة يتلقفها المستمعون على أنها حقائق لا تقبل الشك، لكن حالما تبدأ الأسئلة بكل شفافية تبدأ تعريتها وكشفها على حقيقتها، مع الأسف ثقافتنا تعتمد على المشافهة، ولا تعتمد على الأسلوب العلمي الذي يمحص، ويحلل قبل التسليم بصحة المعلومة. وقد مرّت الأمة الإسلامية بعصور انحطاط شلّت القدرة على التفكير، وحذرت من الأسئلة، ورسخت الجمود والتقليد، وحيّدت العقل، الدين ينادي بالتفكير وإعمال العقل والأخذ بأسباب الحياة حتى يتخلص المسلمون من تخلفهم، الهدف من قراءة التاريخ هو الربط المنطقي السليم مع الواقع لنخرج بثوب أكثر حداثة متجاوزين أخطاء الماضي، الهدف أخذ العبر، وليس تقديس

التاريـخ والعيش فيه، ولو قرأنا التاريخ جيـدًا لعلمنا أن لكل عـصر محاسـنه ومسـاوئه وأخطـاءه، فالإنسـان هـو الإنسـان بغرائزه ونقاط قوته وضعفه.

- التفـت حسـين إلى والده، وقال بصـوت منخفض، في الفصل غضب علي المعلم، حين أكثرت الأسئلة.
- هل سمعت ذلك يا عمي؟
- نعـم، وهذه من عقبـات التعليم عندنا، نريد أن نحشـو أدمغة الطـلاب بالمعلومـات دون أن نعطيهـم مجـال التفكـير فيهـا وتمحيصهـا وتطبيقهـا؛ لذا فشـل التعليـم في مهمته الرئيسـة، وهي إيقاظ العقل من سـباته، وإخراج أفضل ما لدى الطلبة، وترسـيخ الأسـس السـليمة لتربية صحيحة متوازنة، الأسئلة مطـارق تطـرق عـلى أبـواب العقـل لتوقظـه من سـباته، على المعلمـين أن يجعلوا التعليـم متعة فيه الكثير من الأسـئلة التي تجعـل الطالب محورهـا، وعـلى الوالدين أن يجيبوا عن أسـئلة أبنائهم دون وجل، وأن يشـجعوهم على توجيه الأسئلة، فمن يَسكُت يُسكَت عنه، ويضيع فرصة المعرفة.

أيضًا عليك أن تسـأل من تثق به لمزيد من التوجيه والنقد؛ حتى تتـلافى الأخطـاء وتصححها، فالإنسـان لا يرى عيوبـه، وحتى لو لم يعجبـك الجواب الذي تتلقـاه، فلا يكن رد فعلك غاضبًا أو متسرعًا، فقد يكون المجيب على حق، ويريد لك الخير.

العالم مليء بأصحاب النفوس الضعيفة الذين بنوا حياتهم على خداع الآخرين؛ لذا عليك أن تلجأ لأصحاب الخبرة، وتسألهم المشورة، فإن كانت أمورًا مالية فعليك أن تسأل البنك الذي تتعامل معه، وإن كان مرضًا فتوجه بأسئلتك إلى الطبيب المختص، وهكذا في كل أمور الحياة.

كم أسعدني مجيء أبنائك معك، وهذا دليل حرصك عليهم وسعيك لنجاحهم، وأنا على يقين أن هذا اليوم سيكون محفورًا في ذاكرتهم مدى الحياة، سوف نأخذهم إلى المكتبة ثم إلى المزرعة، وبعدها سنأخذهم في رحلة قصيرة إلى البلدة القديمة ومتحفها؛ ليتعرفوا إلى حياة الآباء ببساطتها وشظف عيشها، وسوف أحاول أن أجيب عن أسئلتهما، وإن كنت لا أملك الجواب لكل شيء، بل قد أسألهما أنا فيما يبدعان به.

- نعم، يا عم، فهما خبيران في الأجهزة الذكية.

الأبواب تفتح لمن يطرقها

- لماذا يا أحمد، طرقت الباب لما أتيت إلى بيتي؟
- كي تفتح لي!
- ماذا لو وقفت بالباب دون أن تطرقه، هل سيفتح لك؟
- لا، يا عمي، كيف ستعلم؟
- الساكنون داخل المنزل لا يعلمون أنك تنتظر في الخارج، الأبواب تفتح لمن يطرقها، وهكذا الأرزاق والفرص، من يجلس في بيته لن يعلم به أحد، ولن يمد له يد المساعدة، حين تقاعدت عاهدت نفسي على مواصلة العمل، كتبت كتابًا، وحين حاولت نشره اعتذرت كثير من دور النشر، لكنني واصلت المحاولات، ونشرته، وأهديته إلى أكثر من مسؤول وأديب وكاتب، قررت أن أعطي محاضرات للطلبة دون مقابل، حتى هذا النشاط الخيري يحتاج إلى جهد وبحث، اتصلت بمديري المدارس والجامعات، ورجوتهم أن يعطوني فرصة للحديث مع الطلبة عن تجربتي، كنت مهتمًّا بالتحدث إلى الطلبة المبتعثين للخارج، ذهبت إلى المسؤول في وزارة التعليم العالي، وأبديت له رغبتي في إعطاء الطلبة محاضرات في أماكن تجمعهم خارج المملكة، قلت له: أريد خطابًا منكم يخولني بذلك، وأما التكاليف فسوف أدفعها، وأعتبر نفسي

في إجازة، رحب بي، ومنحني الخطاب ومعه تذكرة إلى نيوزيلندا البلد الذي لم يسبق أن زرته. كانت رحلة ناجحة بكل المقاييس، وزرت خلالها عشر جامعات، وفي العام الثاني ذهبت إلى أستراليا، وزرت أكثر من عشرين جامعة واثني عشر ناديًا للطلبة السعوديين. هذا مثال بسيط على أن من يطرق الأبواب تفتح له، قد لا يفتح لك الباب الأول، لكن عليك ألا تيأس، واطرق أبوابًا أخرى دون يأس.

- لكن أرى كتابًا ومفكرين وفلاسفة وعلماء يستدعون من قِبَل دور نشر أو صحف ليكتبوا لديهم، أليسوا ممن فتح لهم الباب دون طرق؟
- لا، يا أحمد، إنهم لم يستدعوا من فراغ، فقد طرقوا الأبواب كثيرًا حتى فتحت لهم، لقد بذلوا الكثير من الجهد لإثبات أنفسهم علميًّا وفكريًّا بوسائل شتى.

كل تجربة يمر بها الإنسان تُعدّ ذات قيمة، ويجب أن يهتم بها صاحبها، ويسجلها، ويعطيها لغيره ليستفيد منها، وفي لقاء مع بعض المتقاعدين قلت لهم: لديكم تجارب ثرية، مررتم بنجاحات وإخفاقات كثيرة، فَلِمَ لا تنقلونها إلى غيركم؟ قال أحدهم: لم يطلب منا أحد ذلك، فكيف نقدمها؟ أجبته: قدمها، ولو للفصل الذي يدرس فيه ابنك، ولعلك تقدمها بعد ذلك لبقية طلبة المدرسة. تطوع لجمعية خيرية دون أن يطلب منك ذلك. المهم أن يستمر الإنسان في عطائه إلى آخر يوم في حياته.